الدرس الثالث سلسلة فقه القدوم على الله

أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا

الحمد لله، الحمد لله العظيم الجليل، أحمده – سبحانه - وأشكره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، منَح الكثيرَ وأعطى الجزيلَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادقة مخلصة، هي الذخر ليوم الرحيل، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، المؤيَّد بمعجزة التنزيل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، أهل الفضل والتبجيل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فلزم الحق واستقام على السبيل.

أما بعد .... إن من أعظم نعم الله على عبده أن يرزقه قلبا حيًّا، فيستذكر ويتنبَّه، ويستحضر بعض الأحوال، والمتغيرات والتقلبات التي تمتلئ بها هذه الحياة، والحياة كلها عبر، وكلها تحولات ومتغيرات، بعضها أعظم من بعض، وبعضها يُنسي بعضًا، غيرَ أن هناك حالة أو موقفا قلَّما وقَف عندَه الإنسانُ، وإن وقف عندَه فإنه لا يُعطيه حقَّه من النظر والتفكير.

هذا الموقف يصوِّره الحافظُ ابن الجوزي -رحمه الله- حين يقول: أظرفُ الأشياءِ إفاقةُ المحتَضَرِ عندَ موته؛ فإنه يتنبَّه انتباهًا لا يُوصَف، ويقلق قلقًا لا يُحَدّ، ويتلهَّف على زمانه الماضي، ويودُّ لو تُركَ كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت... ثم قال -رحمه الله-: فالعاقل مَنْ مَثَّل تلك الساعةَ، أو عَمِلَ بمقتضى ذلك.

إن هذا التذكر يكفُّ الهوى، وهذا التمثل يبعث على الجد ويحفظ الوقت، ويصلح العمل، يستذكر حاله، وهو في عافية سابغة، وحياة ممتدة ليتزود من الذِّكْر والشكر وحُسْن العبادة، ساعة الاحتضار هي الساعة التي يكون فيها الإنسان بين الموت والحياة، وهي ساعة إذا جاءت يعلم الإنسانُ يقينًا أنه سيموت، فليس في هذه الساعة كَذِبٌ، وليس فيها مَهْرَبٌ، فيُرفع له من الحُجُب ما يعرف جزمًا أن آخرته قد جاءت، ويُكشف عنه غطاءُ الدنيا، فيرى شيئا لم يره من قبل.

الاحتضار: وحضُور ملائكة الموت

⇦إذا حان الأجل وشارفت حياة الإنسان على المغيب أرسل الله رسل الموت لسلِّ الروح المدبِّرة للجسد والمحركة له ، (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) [الأنعام : 61]

✉ من المأمور بقبض روح الميت هل هو ملك الموت أم عدة ملائكة ؟

⇦ هناك آيات تبين أن الذي يقوم بقبض أرواح الناس هم ملائكة ، وفي آية أخرى سماه الله تعالى : ملك الموت ، فكيف يكون الجمع بين هذه الآيات ؟

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان:

فتحصل أن إسناد التوفي إلى ملك الموت في قوله تعالى : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) [السجدة : 11] ، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح .

وأن إسناده للملائكة في قوله: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) [محمد : 27] ، ونحوها من الآيات لأن لملك الموت أعوانا يعملون بأمره .

وأن إسناده إلى الله في قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) [الزمر : 42] ، لأن كل شيء كائنا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره والعلم عند الله.

هل يصح تسمية ملك الموت اسمه عزرائيل؟

✉ **وقال الشيخ ابن عثيمين: (ملك الموت) : وقد اشتهر أن اسمه (عزرائيل) ، لكنه لم يصح ، إنما ورد هذا في آثار إسرائيلية لا توجب أن نؤمن بهذا الاسم ، فنسمي من وُكِّل بالموت بـ (ملك الموت) كما سماه الله عز وجل في قوله : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) [السجدة : 11] "فتاوى ابن عثيمين**

سؤال هل تموت الأرواح: (والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان). مجموع الفتاوي

وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة " لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى" (الدخان ، آية : 56).

⇦ وتلك الموتة هي مفارقة الروح الجسد، أما الروح لا تعدم ولا تفنى شرح الطحاوية .

ما يحدث للميت حال موته لا نشاهده ولا نراه، وإن كنا نرى آثاره:

قال تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)19 ق

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك الذي كنت منه تفر، هذا الذي كنت تفر منه طوال عمرك وتتوقاه وتخافه وتحاذره، ها هو يقابلك ويلاقيك وينزل بك. (خالد السبت)

قال تعالى (لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (22) ق

عن ابن عباس (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ) قال: الحياة بعد الموت.

قال الطبري في تفسير الآية :(لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك.

قال الدكتور خالد السبت : باعتبار أنه تنكشف له الحقائق الغيبية التي ما كان يراها، وإنما كان يؤمن بها فهذه كالحُجب، يعني: حجاب الغيب، فإذا رفع عنه هذا الحجاب عند ذلك يبصر فيرى الملائكة، ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويرى كثيراً من الحقائق التي كان يسمع عنها ويؤمن بها، ولكن ليس الخبر كالمعاينة.

فبصرك اليوم قوي نافذ، يبصر ما لم يكن يبصره من قبل فيرى الملائكة التي تتنزل في لحظات الإحتضار

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) فصلت

وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن حال المحتضر فقال : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ – وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ – وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) [الواقعة : 83–85]

والمتحدث عنه في الآية الروح عندما تبلغ الحلقوم في حال الاحتضار، ومن حوله ينظرون إلى ما يعانيه من سكرات الموت، وإن كانوا لا يرون ملائكة الرحمن التي تسلُّ روحه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) [الواقعة : 85]

وقال في الآية الأخرى :(كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ – وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ – وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ – وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ – إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) [القيامة : 26–30]

والتي تبلغ التراقي هي الروح ، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر و العانق .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : يعظ تعالى عباده بذكر المحتضر حال السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: وقيل من راق أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فتعلقوا بالأسباب الإلهية. ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له، وظن أنه الفراق للدنيا. والتفت الساق بالساق أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح من البدن الذي ألفته ولم تزل معه، فتساق إلى الله تعالى، ليجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها.

وأثناء هذه الكربات والسكرات يتجلى فرَح المؤمن بلقَاء رَبّه

❶ تُبشِّره الملائكة بالروح والريحان، ولقاء الرب سبحانه وهو غير غضبان:

إذا جاءت ملائكة الرحمن العبد المؤمن بالبشرى من الله ظهر عليه الفرح و السرور ، ومن ثم فإن العبد المؤمن في حال الاحتضار يشتاق إلى لقاء الله . فقد روى أنس بن مالك ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ " رواه البخاري

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –
قال:(إن الميت تحضُره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشِري برَوح وريحان، وربٍّ غير غضبان، قال: فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرَج بها إلى السماء، فيُستَفتح لها، فيُقال: مَن هذا؟ فيقال: فلان، فيقولون: مرحبًا بالرُّوح الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك، حتى يُنتَهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجلَّ). قال الذهبي صحيح على شرط الشيخين

وفي الحديث الصحيح الذي جاء في حادثة بئر المعونة ، وقتل سبعين من القراء أن الصحابة بشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء الله (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا).

عندما يحضر ملك الموت ويبشر المؤمن بالمغفرة من الله والرضوان، يفرح ويستبشر بما هو آت

وفي قوله تعالى:" لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ" ثلاث أقوال وكلها صحيحة:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له.

وقال البراء بن عازب: ((سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له) صححه الألباني

الثاني: ثناء المثنين عليه.

عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : فقيل (يا رسول الله الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم

والثالث: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ويدل على هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء. مسند أحمد

وفي قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ – نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ – نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) [فصلت : 30–32] .

وهذا التنزُّل – كما قال طائفة من أئمة التفسير منهم مجاهد والسدي – إنما يكون حالة الاحتضار ، ولا شك أن الإنسان في حالة الاحتضار يكون في موقف صعب ، يخاف فيه من المستقبل الآتي ، كما يحزن على من خلَّف بعده ، فتأتي الملائكة لتؤمنه مما يخاف ويحزن ، وتُطَمئِنُ قلبه ، وتقول له لا تخف من المستقبل الآتي

في البرزخ والآخرة ، ولا تحزن على ما خلفت من أهل وولد أو دَيْنٍ ، وتبشره بالبشرى العظيمة ، (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت : 30] ، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) [فصلت : 31] ، وما دام العبد لم يتخذ ولي الا الله وحده، يأمره فيطيعه وينهاه فيجتنب ما نهاه، فإن الله يتولاه دائماً ، وخاصة في المواقف الصعبة ، ومن أشقها هذا الموقف ، (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [فصلت : 31] .

وقال مجاهد: "إن المؤمن ليُبَشَّر بصلاح ولده من بعده؛ لتقرَّ عينه"؛ (أبو نعيم في الحلية).

إذن في قوله تعالى:" تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ" يبشرون عند الموت، وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم اليوم الآخر في القرآن العظيم ص61، قال تعالى:" لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " (الأنبياء ، آية : 103).

وقوله:" أَلَّا تَخَافُوا" أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، "وَلَا تَحْزَنُوا" على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه "وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ" (فصلت ، آية : 30)، فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير تفسير البغوي (7 / 173) بتصرف.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وحسنه الألباني في "الصحيحة" .

(كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿31﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿32﴾ (النحل ، آية 31- 32).

(يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة) . اليوم الآخر في القرآن العظيم ص62،

وأن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخَلِّط تفسير القرطبي .

قال تعالى:(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر ، آية : 27، 28).

وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا تفسير ابن كثير.

أحوال الناس عند احتضارهم ثلاثة : إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله،

يقول سبحانه فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96) الواقعة

قال السعدي في تفسيره: ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار.

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار والموت، فقال: { {فَأَمَّا إِنْ كَانَ} } الميت { {مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} } وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات.

{ { فـ} } لهم { { رَوْحٌ} } أي: راحة وطمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، { {وَرَيْحَانٌ} } وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيرا بنوع الشيء عن جنسه العام { {وَجَنَّةُ نَعِيمٍ} } جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور.

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} ⇦ وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، و إن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، { {فـ} } يقال لأحدهم: { {سَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} } أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين ☜أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم ولقائهم له، أو يقال له ☜: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الذنوب الموبقات.

{ {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ} } ⇦ أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى { فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ } ⇦ أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ {يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} { إِنَّ هَذَا } الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم، خيرها وشرها.

"وَجَنَّةُ نَعِيمٍ": أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار تفسير ابن كثير

(فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن)(اليوم الآخر في القرآن العظيم صه64.).

" فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ" (الواقعة ، آية : 91)، اي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين) (محاسن التأويل للقاسمي) (7 / 22).

قال الإمام القرطبي السلام ثلاثة مواضع:

- عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا.
- عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير.
- عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام .

❷ ملائكة الموت تأتي المؤمن في صورة حسنة جميلة :

حديث البراء بن عازب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ (وفي رواية : المطمئنة) اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فيأخذها ...)السلسة الصحيحة

حنوط (1) :كلّ ما يُطيَّب به الميّت من مسك وعنبر وكافور وغير ذلك .

❸تنزع روح المؤمن بخفة ، و تخرج أطيب من ريح المسك وتكفن بالحرير :

أخرج ابن أبي شيبة (284/13) والبيهقي وأبو نعيم في "الحلية"، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال":تخرج رُوح المؤمن وهي أطيب ريحًا من المسك، فتصعد بها الملائكة الذين يتوَفَّونها، فتلقاهم ملائكة دون السماء، فيقولون: مَن هذا الذي معكم؟ فيقولون: فلانٌ، ويَذكُرونه بأحسن عمله، فيقولون: حيَّاكم الله وحيَّا مَن معكم، فتُفتَح له أبواب السماء، فيُصعَد به من الباب الذي كان يصعد عملُه منه، فيُشرِق وجهه، فيأتي الرب، ولوجهه برهانٌ مِثل الشمس"

وأخرج البزار عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن المؤمن إذا احتُضِر أتته الملائكة بحريرة فيها مِسك وضبائر ريحان، فتُسلُّ رُوحه كما تُسلُّ الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس

المطمئنة، اخرجي راضية مرضيًّا عنك، إلى رَوح الله تعالى وكرامته، فإذا خرجت رُوحه، وُضعت على ذلك المسك والريحان، وطُويت على الحريرة، وذُهِبَ به إلى عليين)). المعجم الأوسط

وعن مجاهد قال: "تنزع نفْس المؤمن في حريرة من حرير الجَنَّة"؛ (بشرى الكئيب ص 47).

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ [القيامة: 29]، قال : "الناس يُجهِّزُون بدنه، والملائكة تُجهِّز رُوحه."

وتنزع روح المؤمن بخفة وسهولة لا يكاد يشعر بها

كما قال تعالى: (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) (النازعات ، آية : 1،2)
(وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق كالأنشوطة، والأنشوطة: الربط الذي يسمونه عندنا (التكة) أو ما أشبه ذلك من الكلمات، يعني يكون ربطاً بحيث إذا سللت أحد الطرفين انفكت العقدة هذا ينحل بسرعة وبسهولة .ابن عثيمين رحمه الله .

❹تنادي عليه الملائكة بأحسن أسمائه التي كان يُنَادى بها في الدنيا:

أخرج النَّسائي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (:-إن المؤمن إذا قُبِض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيًّا عنك، إلى رَوح الله تعالى وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، فيُسمُّونه بأحسن الأسماء له، حتى يأتون به باب السماء، فيقولون جاءتكم مِن الأرضِ، فيأتُونَ به أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه إذا قَدِمَ، فيسألونه: ماذا فَعِل فلان؟ ماذا فَعِل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غمّ الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية)) قال الألباني في "الصحيحة

❺ يُكتَب في ديوان أهل الجنة:

وعن الضحاك قال: إذا قُبِض رُوح العبد المؤمن، عُرج بها إلى السماء، فينطلِق معه المقرَّبون، ثم عُرج به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهوا إلى سِدرة المنتهى، فيقولون: عبدك فلان - وهو أعلم به - فيَأتيه صكٌّ مختوم بأمنه من العذاب؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: 18 - 24]؛ (بشرى الكئيب ص41، جامع البيان؛ للطبري:102/30).

✉ وقال الإمام ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح" (ص70 - 73):
فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخَصَّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتَب ويوقع لهم به بمشهد المقرَّبين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفُجَّار تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواصّ خلْقه، كما يكتب الملوك تواقيع مَن تُعظِّمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله - سبحانه وتعالى - وملائكته على عبده، وقال: "فهذا التوقيع والمنشور الأول، ويُكتَب في ديوان أهل الجنة يوم موته."

❻إن كان من المقربين وأصحاب اليمين، يطالب حامليه بالإسراع به إلى القبر شوقاً منه إلى النعيم:

عن أبو سعيد الخدري قال قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (إذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ علَى أعْنَاقِهِمْ، فإنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي) صحيح بخاري

أما العبد الكافر أو الفاجر فخلاف ما ذكرنا عن المؤمن:

❶يكره لقاء الله تعالى لان الملائكة تبشرهم بالعذاب والعقاب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله و عقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله ، وكر الله لقاءه) رواه البخاري

❸وملائكة الموت تأتي الكافر والمنافق في صورة مخيفة سود الوجوه

ففي الحديث الصحيح (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ (و في رواية الفاجر) إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ[الكثير الشعب] مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ [فتقطع معها العروق والعصب] " السلسلة الصحيحة

⇦ المسوح ، هو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً ، وقهراً للبدن

❸وتتنزل الملائكة على الكافر والفاجر بكل ما تكرهه نفوسهم جزاء وفاقا لسوء أعمالهم و طغيانهم :

قوله تعالى: "وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ " (الأنعام ، آية : 93).

قوله تعالى: "فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ" أي كرباته وسكراته، وقوله "وَلَوْ تَرَى" جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح التسهيل لابن جزي (279/1).

وقال تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا)(الفرقان ، آية : 22)، أي حرام محرم عليكم دخول الجنة (اليوم الآخر في القرآن العظيم صـ601.)

❹تنزع الملائكة روح الكافر والفاجر ، بشدة تقطع معها العروق، وتخرج كأنتن ريح ، وتكفن بالمسوح :

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله صلى اله عليه وسلم: "وإن العبد الكافر (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد

البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول(السلسة الصحيحة).

السفود : الشوك كثير التشعب.

وما رواه ابن ماجه واحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: (الميت تحضره الملائكة .....(وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فلا يفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل بها من السماء، ثم تصير إلى القبر)) الذهبي صحيح على شرط الشيخين

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله . عز وجل .؛ فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح ! حتى يأتون به أرواح الكفار) صححه الألباني في سنن الترميذي

✉ و أخبرنا الله عن معاملة الملائكة للكفار عند قبض أرواحهم فقال سبحانه :

(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ - ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ) [الأنفال : 50-51] .

قال ابن كثير في تفسير الآيات :(ولو ترى يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً فظيعاً منكراً ، إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ، ويقولون ذوقوا عذاب الحريق).

وقوله (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) [محمد : 25-27] .

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها غَرْقًا أي نزعاً بشدة. ابن عثيمين رحمه الله

✉ وشتان بين الموحد العاصي الفاجر وبين الكافر و المنافق ، فلا يزال التوحيد يشفع للصاحبه ، حتى تغفر ذنوبه وتكفر عنه سيئاته، فيخفف عمن استحق العذاب بسوء عمله ، وقد يتجاوز الله عنه بعدما وجب له بسعة رحمه وفضله وكرمه ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: (يا ابنَ آدمَ ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لكَ ولا أُبالِي يا ابنَ آدمَ ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاتُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً) . صححه الالباني

✉فالتوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام ، لكن العبد المخلط يجب أن يخاف ذنوبه

(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) الحجر

✉ولكنه في لحظات الضعف يجب أن يرجو رحمة الله ، وخاصة في مثل هذه اللحظات مثل الاحتضار، فيظن أن الله يكرم عباده الموحدين ويدافع عنهم.

❺ويعرج بها إلى السماء فلا تفتح لها أبواب السماء ، فتلقى روحه من شاهق ، ففي حديث البراء بن عازب الذي يصف الرسول صلى الله عليه وسلم فيه رحلة الإنسان من الموت إلى البرزخ

وتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح الخبيثة التي نزعت من العبد الكافر أو الفاجر ، فقال عنها بعد نزعها : " [فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم] ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) [الأعراف : 40] فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى [ثم يقول : أعيدوا عبدي إلى الأرض ، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فتطرح روحه من السماء ، طرحاً [حتى تقع في جسده] ، ثم قرأ (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج : 31] ، فتعاد روحه إلى جسده " .

❻العبد الطالح عندما يرى ملائكة سود الوجوه ، ينادي بالويل من المصير الذاهب إليه عن أبي سعيد الخدري قال: قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ علَى أعْنَاقِهِمْ، فإنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وإنْ كَانَتْ غيرَ صَالِحَةٍ قالَتْ: يا ويْلَهَا، أيْنَ يَذْهَبُونَ بهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شيءٍ إلَّا الإنْسَانَ، ولو سَمِعَهَا الإنْسَانُ لَصَعِقَ) صحيح البخاري

المحتضر وسكرات الموت:

سكرات الموت سكرات الموت شديدةً قويّة على كلّ نفس، وهي أشدّ ما تكون على الكافرين،

وربّما تشتدّ على المؤمنين ❶ لترفع درجاتهم وتُعلي منزلتهم، ❷ وتُكفّر عنهم سيّئاتهم،

كما قد تكون خفيفةً على كثير من المُؤمنين.

والمُحصِّلة في ذلك أنّ كل نفسٍ سواءً كانت مُسلمةً أو كافرةً ستمرّ بهذه المرحلة

وذلك لقوله تعالى: وقال تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) [ق : 19]

، وقال النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– في مرض موته: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ) صحيح البخاري

النّاس مُتفاوتون في شدّة سكرات الموت وضعفها؛ فمنهم من يُكابد بها ويُعاني، ومنهم من لا يشعر بسكرات الموت، فينتقل بين الحياة والموت كما ينتقل النّائم بين اليقظة والغفلة، ولا علاقة

لشدّة سكرات الموت بقوّة الإيمان أو ضعفه، فقد مَسّت سكرات الموت رسول الله وعانى منها أشدّ مُعاناة،

حيث ورد عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه - قوله: (دخلتُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو يُوعَكُ، فقُلْت: يا رسولَ اللهِ، إنك لَتُوعَكُ وعْكًا شَديدًا؟ قال: أجل، إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجُلانِ منكم، قُلْت: ذلك بأن لك أجرين؟ قال: أجل، ذلك كذلِك، ما مِن مُسلِمٍ يُصيبُهُ أذًى، شَوْكَةٌ فما فَوقَها، إلا كفَّرَ اللهُ بها سيآتِهِ ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها).صحيح بخاري

وسكرات الموت: كرباته وغمراته، قال الراغب في مفرداته: " السكر حالة تعرض بين المرء وعقله

سكرة الموت : هي حالةٌ من الإغشاء سببها شدّة المُعاناة والألم التي تُصيب المُحتضِر قبل وفاته بفترة قصيرة أو طويلة، بحيث يكون في حالةٍ بين الوعي واللاوعي، فسكرة الموت هي حالةٌ تُصيب المُحتضِر من الإغشاء المُقارب للإغماء.

قوله عزَّ وجلَّ: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)، وجاءت سكرة الموت؛ أي شدّته وغلبته، كالسَّكْرَةِ من النَّوم أو الشّراب المُسكِر ، حتّى أصبحت هذه السّكرة كأنّها أمرٌ حتميّ تيقّنه الإنسان وصدَّق به، وبأنّ الموت آتٍ لا مفرّ منه، وعاينه بنفسه لا أنّه مُجرّد شيءٍ سمعه وبقي مجهولاً له. الطبري

وقد عانى الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي ونفسي من هذه السكرات

ما روته أم المؤمنين عَائِشَةَ -رضي الله عنها - قالت: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ) ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: (فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى) حتى قُبضَ ومالت يداه).صحيح بخاري

وتقول عائشة رضي الله عنها في مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ما رأيتُ الوجعَ على أحدٍ أشدَّ منْهُ على رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ " بخاري

فعن أنس رضي الله عنه قال:(لمّا ثُقُل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله (وَ اكَربَ أَبَاه) رواه البخاري.

لمَّا تغشَّى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الكَرْبُ كان رأسُه في حِجْرِ فاطمةَ فقالت فاطمةُ : (واكرباهُ لِكَرْبِك اليومَ يا أبتاهُ فرفَع رأسَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وقال : (لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليومِ يا فاطمةُ). صحيح ابن حبان

ثُقِل برسول الله ﷺ أي: اشتد عليه وطأة المرض، وسكرات الموت وهو يحتضر، عليه أفضل الصلاة والسلام .

النبي ﷺ وهو أكرم الخلق على الله، فهو خليل الرحمن، ومع ذلك كان ينزل به ﷺ من الشدة، والبلاء، والمرض ضعف ما يصيب غيره من الناس،

حتى أنّه كان من شدّة الألم وشدّة وقع سكرات الموت عليه يغشى عليه ثم يُفيق، وقد كان ذلك ليرتفع مَقام ومنزلة المصطفى -عليه الصّلاة والسّلام - عند ربّه.

عن رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام أنه قال: (إنَّ العبدَ إذا سبقت له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغْها بعمله ابتلاه اللهُ في جسدِه أو في مالِه أو في ولدِه ثم صبَّره على ذلك حتى يُبلِّغَه المنزلةَ التي سبقت له من اللهِ تعالى). صحيح الترغيب

وقد دخلت عائشة رضي الله عنها على أبيها أبي بكر رضي الله عنه في مرض موته ، فلما ثقل عليه تمثلت بقول الشاعر : لعمرك ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

⇦فكشف عن وجهه ، وقال رضي الله عنه ، ليس كذلك ولكن قولي : (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (4) [ق : 19] .

✉ وممن حدَّث عن كربات الموت وغمراته عمرو بن العاص رضي الله عنه فعندما حضرته الوفاة ، قال له ابنه : يا أبتاه ! إنك لتقول: يا ليتني ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد ، وأنت ذلك الرجل، فصف لي ، فقال : يا بني ، والله كأن جنبي في تخت ، وكأني أتنفس من سمّ إبرة ، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي .

وفي الختام :

عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ حَقَّ الِاسْتِعْدَادِ، وَأَنْ نَصْحَى مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ وَنَفِيقُ مِنْ هَذِهِ الْغَفْوَةِ، وَقَدْ نَبَّهَنَا اللهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: 1

يجب علينا أن نتَّفَكَّرَ فِي الْمَوْتِ، لأننا مؤمنون ،موقنُون بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَنعلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، فَتَيَقَّظْ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَوْلُ الْمَوْتِ وَسَكْرَتُهُ، وَيَحُلَّ بِكَ أَلَمُ الْفَوْتِ وَحَسْرَتُهُ، وَتُوضَعُ فِي حُفْرَةٍ، إِمَّا أن تكون مُنِيرَةً أَوْ مُظْلِمَةً، إِنَّ هُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يُحِبُّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا ذِكْرَ الْقُبُورِ، وَذَاكَ وَرَبِّي مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ، حَتَّى يَعِيشَ فِي غَفْلَةٍ؛ لِذَا: يَقُولُ الرَّسُولُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ـ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ»؛ فَلَا يَعْبَثَنَّ بِكَ الشَّيْطَانُ، فَالْقَبْرُ لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَهُ شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ؛ فَلَا تَخْدَعْ نَفْسَكَ، وَلَا تَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ حَقِيقَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَاثِلَةً أَمَامَ عَيْنَيْكَ.
إذا هممتَ بمعصية، تذكّر أماني الموتى، تذكّر أنهم يتمنّون لو عاشوا ليطيعوا الله ، إذا فترت عن الطاعة، تذكّر أماني الموتى، واجتهد في الطاعة، وبادر إلى التوبة قبل أن يأتيك الموت بغتة، فتقولي: يا ليتني قدمت لحياتي

واعلم أن ملايين الموتى يتمنون مثل الدقيقة التي تمر من حياتك ليستثمروها في طاعة الله، وذِكره، والتوبة إليه، فلا تضيّع دقائق عمرك، لئلا تتحسر في آخرتك، (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) الزمر:56-58

نحمد الله على نعمة الإيمان والإسلام ، فإنها أعظم نعمة رزقها للمؤمن ، تدفع عنه كربات الدنيا والآخرة ، وتكون سبب في نجاته وحسن خاتمته فيموت ميتة حسنة، وتحصل له جملة من العطايا والهبات ،من نزول الملائكة ،و بالبشارة بالأمن وعدم الخوف، والبشارة بالجنة، والنعيم المقيم، فنحمد الله حمدا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى .